بنية التعذيب في الجزائر

موسى آيت مبارك

1. عموميات **25**
2. طرق التعذيب **26**
1.2. الاعتداء البدني والجلد 27
2.2. الضرب والجرح بواسطة السلاح الأبيض والهراوات 27
3.2. التعذيب بالخنق 28
4.2. التعذيب بالعقاقير 28
5.2. التعذيب بالكهرباء 29
6.2. التعذيب بالنار 30
7.2. التعذيب بالتبريد 31
8.2. التعذيب بالتشويه 32
9.2. التعذيب بالسلَّم، وبالكرسي، وبالتعليق 33
10.2. الإضعاف والإنهاك والعزلة 34
11.2. الاغتصاب والاعتداء والتشويه الجنسي 35
12.2. التعذيب الذهني 39

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org

من بعداش بن حمدي إلى القضاة الفرنسيين:
«المعدن يُثنى والحديد يُصهر، فماذا عسى الألم أن يفعل بالرجل؟»
حُكِمَ عليه بالإعدام يوم 11 أبريل 1957م
أُعدِم يوم 25 يوليو 1957م

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

1. عموميات

التعذيب فعل يسلّط من خلاله ألم حسي أو معنوي شديد على شخص ما لغرض الحصول منه، أو من أشخاص آخرين، على معلومات أو اعترافات أو لمعاقبته على نشاط سياسي قام به أو إهانته أو تخويفه، أو إهانة أشخاص آخرين أو تخويفهم. ويقتضي هذا التعريف أنّ الجلاد يريد من خلال تسليط الألم على الضحية كسر إرادته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن التعذيب فعل رتيب وله هدف محدد.

والتعذيب المعرف بهذه الطريقة، والذي كاد أن ينقرض في الجزائر ما بين عامي 1989 و1991، أصبح منذ انقلاب عام 1992 ظاهرة متفشية وروتينية.

إنّ إحصاء طرق التعذيب المعروضة في الفصل الثاني يعتمد أساسا على شهادات جُمعت في *تقرير حول وضعية حقوق الإنسان في الجزائر* وكذلك على شهادات جُمعت في *الكتاب الأبيض حول القمع في الجزائر*.

يمارَس التعذيب عادة في مراكز المخابرات العسكرية، ومخافر الشرطة، وثكنات الدرك الوطني. كما يمارس أيضا في ثكنات الجيش، وفي فيلات ومستودعات سرية، وفي السجون مثل سجني سركاجي والحراش. ويُسمي الشارع الجزائري تلك الأماكن التي يمارَس فيها التعذيب بـ«الباطوار».[أ] ويروي كثير من المعذَّبين أنّ جلاديهم يطلقون على المكان اسم «لابوراطوار» (مختبر بالفرنسية). وفي هذه العيِّنة من الشهادات التي بين أيدينا تم إحصاء أكثر من أربعين مركزا للتعذيب[ب] يوجد معظمها في ولاية العاصمة والولايات المجاورة لها، مثل المديّة، البليدة، ميلة، وكذلك في ولايات أخرى في غرب البلاد وجنوبه.

ومن هذه المراكز ذات السمعة السيئة، دارة «لي زوازو» (العصافير) في بوزريعة وثكنات المخابرات العسكرية في بن عكنون وحيدرة، ومجموعات الدرك الوطني في عين الدفلة، عين طاية، بابا حسن، باب الزوار، براقي، بيرخادم، بيرمراد رايس، بودواو، بوقرة، بومرداس، برج الكيفان، برج منايل، بوزريعة، شلغوم العيد، شراقة، الحميز، إيسر، الأربعاء، الناصرية، أولاد موسى، رغاية، سي مصطفى وتيجلابين، والمديريات العامة للأمن الوطني في باب الواد وكافنياك، ومخافر الشرطة في باب الواد، باش جراح، بلكور، برج الكيفان، درقانة،

[أ] «الباطوار» يعني المسلخ بالفرنسية (abattoir). العبارة الشعبية هي «أدّاوه للباطوار» بمعنى أخذوه إلى المسلخ.
[ب] عذب البعض في أكثر من مركز.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

العناصر، الأربعاء، حي الجبل، رويبة وتيبازة، ومدرسة الشرطة في شاطوناف، وثكنة قوات مكافحة الشغب في الناصرية، وثكنة قوات التدخل السريع في الشراقة، وقوات التدخل السريع في رغاية، وسجني سركاجي والحراش.

من المؤكّد أنّ هذه القائمة غير كاملة. فمثلا العيّنة من الشهادات التي دُوِّنت في *أصوات من لا صوت لهم*[ت] تشير إلى عدة أماكن شائنة لم تُذكر أعْلاه، ومنها المركز الرئيسي للتحقيقات العسكرية (CPMI) في بن عكنون، وثكنتان في دلّس – ثكنة لوناكو (Onaco) سابقا وثكنة الملاَّحة (ما يسمى Les Salines) –، ومجموعات الدرك الوطني في عين البنيان، السْحَاولة، عين الكرشة، بَغْلِّية، سيدي داود وأم البواقي، ومخفر الشرطة في سالم باي. أما العيِّنة من الشهادات التي نشرها المحامي محمود خليلي ومرصد الجزائر مُؤَخَّراً فهي تُحصي عدة مراكز للتعذيب لم تُعيَّن من قبل، ومنها مراكز المخابرات العسكرية في المدَنِيَة، بني مسوس، الحميز، حوش شّنْو (البليدة) وماجنتا (وهران)، وثكنة سوناكوم (Sonacome) سابقا في الرويبة وثكنة سونيباك (Sonipec) سابقا في دلّس، ومجموعات الدرك الوطني في هنشير تومغني (أم البواقي) ومادريسة (تيارت)، ومخافر الشرطة في باب الزوار، بومرداس، دلّي ابراهيم وخميس الخشنة.[ث]

2. طرق التعذيب

سيركّز هذا العرض على تصنيف ووصف طرق التعذيب الواردة في العيِّنة من الشهادات. وسيستند هذا التصنيف ضمنيا إلى التفرّع الثنائي الجسدي–الذهني بغرض تبسيط الطرح، رغم أن ذلك يقلّص الاستيعاب الكامل للألم.

وليس التعذيب الوارد في هذه الشهادات تعبيراً عن ساديةٍ محضة عند الجلاد فقط، ولكنه جزء من استراتيجية يتّبعها الجلادون لإدارة ردّ فعل الضحايا على الألم وإضعاف مقاومتهم أيضا. إنّ هذه الاستراتيجية غرضها نقل الضحايا من الحالة الحادة إلى الحالة المزمنة، وهي حالة انهيار الضحية التي تتجلى عموما في إجهادها الكامل وتردّي قدراتها العقلية، وشعورها بالضياع النفسي وفقدان الشخصية والعزيمة.

[ت] راجع مجموع الشهادات م. آيت لعربي، م. فاروق، م. حسين، م. س. لعليوي، ر. والكان، ل.سالم بديس (محررين)، *أصوات من لا صوت لهم*، في الجزء الأول من هذا الكتاب.

[ث] راجع : M. Khelili, *La Torture en Algérie (1991-2001)*, Octobre 2001, www.algeria-watch.org.

[ج] تَلَذُذ بإحْداث الألَم لدى الغير، طَلَباً للتهَيّج الجنسي أو لإشباعه، وهو مَنْسوب إلى المركيز دو ساد 1740–1814، ويُعْتَبَر اليوم انحرافاً جنسياً.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

1.2. الاعتداء البدني والجَلد

وردت ممارسات الاعتداء البدني والجَلد في معظم الشهادات، وهي تتباين من صفعات إلى لكمات وركلات تُسدد نحو الوجه والأذن والبطن والصدر والظهر والأعضاء التناسلية. ويَبدأ هذا التحطيم قبل بدء الاستنطاق، ويسلَّط على الضحايا بعد أن يتم تجريدهم من ثيابهم وتُوضع الأغلال في أرساغهم، من قِبل مجموعة من الجلادين الذين يتناوبون عليهم. والجَلد الموصوف في هذه الشهادات يتم ضمن نوبات التعذيب يكون فيها الضحايا عراة وموثوقي الأيدي، ويتم الجلد بواسطة أسلاك كهربائية، وأحزمة عسكرية، وعصيّ. ويذكر بعض الضحايا حصص «الفلقة»، أي الضرب المبرح على الأرجل والأيدي بواسطة آلة صلبة.

2.2. الضرب والجرح بواسطة السلاح الأبيض والهراوات

تجدر الإشارة إلى بعض النماذج من هذه المجموعة من طرق التعذيب التي وردت في الشهادات. فالسيد عبد القادر سالم، الذي عُذِب في بوزريعة، يصف «العصا» التي ضُرِب بها: «يجب القول أنها عصا خاصة جدا، فهي عبارة عن هراوة كهربائية، جزء منها مغطى بجلد، ويحتوي الجزء الآخر على ثلاث نتوءات معدنية. ضربتُ بها حتى انكسر هذا الجزء من الهراوة. وكنت أنزف دماً من الرأس والأنف.» ويروي عبد القادر بن عودة الذي حُبس بسجن البليدة العسكري قائلا: «ثم أوثقوا يدي ورجلي إلى حديد السرير وأخذ أحدهم يقطع لحمي بسكين.» وب. محمد الذي عذب في مخفر الشرطة بحيّ الجبل يذكر من جملة تنكيله القطع «بشفرة الحلاقة في ظهري ثم أخذوا يضعون الملح على الجروح الدامية وهي تنزف، مما أدّى إلى آلام فظيعة».

ومصطفى سليماني يقول: «تلقّيتُ أربع طعنات بسكين، واحدة في الخد واللسان، وأخرى في كتفي الأيمن، وأخرى في فخذي الأيمن، وأخرى في جنبي الأيسر.» ويضيف: «ضُربت بأخمص كلاشنيكوف على رأسي حتى أُغمي عليّ.» وسالم بلقاضي، الذي عُذِب في ثكنة الدرك الوطني بأولاد موسى، يروي أنه عانى التنكيل بـ«الشَطْب على الشظيّات بحربة كلاشنيكوف». وذكر عبد الكريم حسين، الذي عُذِّب في ثكنة المخابرات العسكرية بحيدرة وأُعدِم بعد ذلك بقوله: «ضربوني على الرأس بآلة تشبه الثقّابة الكهربائية.» ويقول نور الدين بوبكر الذي عُذِب في ثكنة الدرك الوطني بالأربعاء: «سُلّطت علينا أساليب أخرى من التعذيب أكثر فظاعة، مثل إدخال طرف مفك في البطن.» وتوفّي عبد الكريم مانو من الحراش تحت التعذيب من قِبل قوات الأمن بعد قرقعة (أي تهشيم) رأسه وكسر

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

عموده الفقري بعصا حديدية. وجثة المعذب س[ح]، الذي كان يُقيم في الحراش، كان يظهر عليها حسب أقاربه «عدة ثقوب في الجبهة من أثر ثقّابة كهربائية، وكان ذراعه مفروم بالعرض من نهاية أحد أصابعه إلى عضده».

3.2. التعذيب بالخنق

ورد هذا الأسلوب من التنكيل في كثير من الشهادات. وطريقة «النشاف» التقليدية تعتمد على إدخال مِمْسحة أو خرقة أو إسفنجة وسِخة ومثيرة للغثيان في فم المعذَّب وهو مقيَّد. يذكر محمد عثمان بلدي، الذي عُذِّب في مركز الشرطة بالعاصمة، أنهم «وضعوا خرقة في المرحاض وأدخلوها في فمي مع إغلاق أنفي وضرب صدري وبطني بمِطرقة». وهذه العملية كثيرا ما يتبعها إدخال كمية كبيرة من الماء في فم المعذَّب الذي يُغْلَق أنفه لخنقه. والماء البارد ليس السائل الوحيد المستخدَم، حيث تذكر شهادات كثيرة ماءً حاراً، وماءً به صابون، وماء صاقلا، وسائلا مطهِّرا، الخ. ويذكر السيد ح. إ. الذي عُذِّب حتى أُغمي عليه في مفرزة درك باب الزوار: «عند استرجاعي للوعي وجدتني أختنق ورأسي في برميل مياه قذرة [...] ثم تواصل التعذيب بإدخال أنبوب في فمي وفتح الحنفية. كادت بطني أن تنفجر، وكنت لا أسمع شيئا، وكانت رأسي تصفّر.» ويذكر محمد بويوسف أنه تعرض «للكهرباء، والخرقة المبللة بماء قذر أو مادة كيميائية لا أعرفها لكن لها نفس تأثير الكلوروفورم، وكانوا يستخدمون أيضا مادة أخرى لا شك أنها حامض. كانوا يبللون الخرقة بهذه المواد الكيميائية حتى أحترق جلد وجهي ورقبتي وظهري وامتلأ جسمي بالفقّاعات.»

4.2. التعذيب بالعقاقير

يبدو أنّ هذا النوع من التنكيل لم يُستخدم على نطاق واسع، والشهادات التي تشير إليه غير واضحة بخصوص المواد المستخدَمة. فيذكر محمد عيمات الذي عُذِّب في مركز الشرطة بالعاصمة: «شعرت أنّ أحد الجلادين وضع مادة كيميائية على صدري وبطني أثناء التعذيب.» ويقول مصطفى سليماني: «خلال استنطاقي، أصاب وجهي غاز مسيل للدموع، فاحمرّت عيناي، وصرت لا أرى شيئا حتى فقدت وعيي». قد عُذِّب عبد العزيز ظهري وسعيد طيباوي وسالم بلقاضي واسماعيل منصوري كلهم في مخفر الشرطة ببودواو، فيروون أنّ جلاديهم حقنوهم بعدة «حُقون في أقاضيبهم». ويذكر ي. بشير قصة زميل

[ح] اختير عدم ذكر الاسم هنا لضمان سلامة عائلة الضحية الذي قُدّم لهم تابوت مختوم وفتحوه مخالفين بذلك أوامر جلادي الطغمة العسكرية.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

كان يُعذَّب معه في مركز الأمن بدائرة حسين داي، فيقول: «في الحصة الثانية، بعد المنشفة والجيجين (التعذيب الكهربائي) والقرْع بالعصا حكى لنا أنهم أجبروه على شرب مادة، وذكر أنه لما شربها شعر بنوع من التخدير لفمه وشفتيه، فأحسّ بغثيان، ثم أُغمي عليه.»

5.2. التعذيب بالكهرباء

إنّ هذا الأسلوب المرعب من التنكيل، الذي ذُكر في كثير من الشهادات، يُحدث ألماً فظيعاً في الجسد كما يؤلم الذاكرة لأنه قد استُخدم بكثرة أثناء الحرب التحريرية من قِبَل الاستعمار الفرنسي. يصف عبد القادر سالم التعذيب بالكهرباء قائلا: «بعد ذلك طلب الجلاد الرئيسي أن يُؤتى بنوع خاص من الآلات، فأُتِيَ بسرير معدني، له مسند مائل، وأُتِيَ كذلك بالجيجين (gégèneخ). فرَمَاني بوحشية على السرير المعدني ووضع لي الشخص الآخر، الجلاد القصير، أصْفاداً على مستوى المرفقين. بعدها أمسك شحمة أذني بملاقِط معدنية وقال: "سأضع لك حلقاً يا ابن الـ[...]" كانوا متهيّجين جداً. ثم شغّلوا المولّد الكهربائي، فعضضت لساني مرات عديدة. كان الألم صاعقا، وكنت أصرخ وأتقلب بكل قوة لأنّ قدماي كانتا غير مقيّدتين. وفي نفس الوقت استأنف الجلاد الأصلع الكبير ضربي بهراوة كهربائية في أسفل البطن.»

ويستخدم الجلادون طرقا أخرى. يقول المرحوم حسن كعوان، الذي كان معتقلا في السجن العسكري بالبليدة: «رموني على سرير معدني مكتّف اليدين والقدمين، وعذبوني بالكهرباء مدة ساعة ونصف تقريبا في اليوم الأول. وكانوا يصُبُّون عليَّ الماء ليزداد الألم الكهربائي. لا أستطيع وصف هذا الألم. ورغم الحالة التي كنت فيها فقد ضربني أحدهم بمطرقة على بطني. ثم أوصلوا زردية معدنية بالكهرباء بذكري. ولم ينفعني صراخي ولا طلبي للنجدة. وبعد فصلهم الأسلاك الكهربائية عن بدني، جاء أحد المجرمين ومسح الدم عن وجهي وأذني وعيني اللتين كنت لا أستطيع فتحهما».

أمَّا مولود بوشملة الذي عذَّبته المخابرات العسكرية وأعتُقل في السجن العسكري بالبليدة فيقول: «وضع الجلادون الأسلاك الكهربائية في أذني، وفتحة الشرج وأعضائي التناسلية». ويذكر عبد الرحمن ماضي المعتقل في السجن العسكري بالبليدة أنه خلال تعذيبه أوصلوا الأسلاك الكهربائية بأذنيه وكانوا يصبّون الماء على رأسه خلال التعذيب بالكهرباء.

خ مِغنيط أو مولّد كهرطيسي استخدم أثناء الحرب التحريرية من قبل الجلادين الفرنسيين.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

إضافة إلى هذه البدائِل في مَوْضِع الأقطاب الكهربائية في الجسد تجدر الإشارة إلى أنّ الجلادين «كانوا لا يقتصرون على تمرير الكهرباء من الأذنين إلى الجسم، بل كانوا يعمدون إلى عصا غليظة يمر بها تيار كهربائي رهيب وكانوا يضعون الطرف الثاني على "الأعضاء الحساسة" من الجسم»، كما يروي نور الدين مصطفاي الذي عذِّب في مفرزة الدرك في باب الزوار.

والصعوبة في وصف الألم بدقة تبرز في شهادة حسن كعوان، الذي يمضي قائلا: «لا يمكنني وصف الألم، إنه لا يوصف، ومن ذلك الوقت انتابني الرعب وأصبحَت دقات قلبي أسرع وإلى الآن أشعر وكأنّ جسدي ممتلئ بالأشواك.»

وفي تقرير حول الآثار الجسدية والنفسية للتعذيب بالكهرباء التي تُسلَّط محليا على عضلة ما، يقول الباحث شيلنغ (Schilling[د]): «يسبّب الصعق الكهربائي إحساسا يصعب وصفه: هزة بدنية ونفسية عنيفة تصحبها رعشات تشنُّجية وفقدان للسيطرة العضلية ممّا يعطي الضحية إحساسا بالضياع [...]. فالضحية في خضم الارتعاش والشرارات يصرخ بكل ما أوتي من قوة، باحثا عن أيّ شيء يقبض عليه. وهو لا يستطيع التفكير في أيّ شيء آخر ولا يستطيع صرف انتباهه عن هذا الألم الفظيع. فيصبح حينئذ أيّ تعذيب إضافي تخفيفا عنه، لأنه يمكنه من صرف انتباهه عن الألم الأساسي ومن الإحساس بالأرض وبجسده الذي يبدو وكأنه ينفلت منه. فالألم الإضافي يأتيه منجّيا، والقرع بالعصا يأتيه منقذا. فيحاول المعذَّب جرح نفسه بضرب رأسه على الأرض مرارا، لكن لا يمكنه حتى اللجوء إلى ذلك، لكونه في أغلب الأحيان مُكَبَّلاً.»

6.2. التعذيب بالنار

إضافة إلى التعذيب بالوسائل العصرية، مثل التعذيب الكهربائي الذي لا يترك أي أثر على الجسم، فإنّ زبانية الطغمة العسكرية في الجزائر لا يتنزهون عن استخدام وسائل التنكيل الموظّفة في القرون الوسطى، فهم يستخدمون النار التي تترك آثارا لا تمحى.

ومن وسائل التعذيب بالنار يمكن ذكر التنكيل بنافثة النار. ولقد عُذِّب بهذه الطريقة السيد بلقائد، أحد أئمة مساجد عين طاية، وكذلك السادة عبد العزيز ظحري، سعيد طيباوي وسالم بلقاضي إذ جُرِّدوا كلهم من ثيابهم وعُذِّبوا بنافثة النار. ولقد توفي في مستشفى عين النعجة العسكري السيد عبد النور وعدي الذي عُذِّب في مخفر شرطة

[د] P. Schilling, *Brasil: y Tortura*, Quadernos de Marcha No 37, Montevideo *Seis Anos de Dictatura* 1970.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

درقانة متأثرا بحروق من نافثة النار. ولقد ذكر أكثر من عشرين سجينا بسجن الحراش أنهم أُحرقوا في الإليتين والرجلين. ولقد روى سليمان رايا، الذي عُذِّب في مفرزة الدرك بباب الزوار، أنّ الجلادين «أحرقوا لحيتي بعد ما جذبوها جذبا قويا». ويذكر أحمد عمارة، الذي عُذِّب في نفس المكان، أنّ المعذِّبين «أحرقوا لحيتي ونتفوها بعنف، كما فعلوا مع جميع الإخوان، وذلك بأمر من ضبّاطهم». وتُستخدم عادة قدّاحة لحرق اللحى. والحرق بالسجائر يَرِدُ كثيرا في الشهادات. واستُخدمت كذلك الكاوية الكهربائية كما يشهد بذلك ورطي محمد الذي عذبه أفراد من القوات المظلّية الخاصة حيث قال: «سلَّطوا على صدري وظهري كاوية كهربائية. فصرخت بقوة لشدة الألم. كان كل صدري وظهري يحترقان. ثم بطحوني على الأرض وربطوني وسلَّطوا الكاوية الكهربائية على فتحة الشرج.» ويضيف سليمان بن رجدال، الذي عُذِّب في مجموعة الدرك برغاية، قائلا: «لقد أتوا بكاوية كهربائية وبدؤوا يكتبون على قدمي.M.O.C وهي الأحرف الأولى لاسم نادي كرة القدم: نادي مولودية قسنطينة.»

7.2. التعذيب بالتبريد

ونلاحظ أيضا في العديد من الشهادات المجمّعة أسلوب إخضاع الضحايا إلى أقصى درجات الحرارة. فبين حصص التعذيب يخضع المعذَّبون إلى درجات منخفضة جداً من الحرارة وهم عراة أو بدون ملابس ملائمة. وفي بعض الأحيان يمارس الإخضاع للبرد بواسطة الثلاجة. يقول الطيّب زيتوني الذي عُذِّب في ثكنة الملاّحة (ليسالين) بدلّس: «أخذوني بسرعة ووضعوني داخل مكان يشبه الثّلاجة طوله 1.5 متر وعرضه 0.6 متر. كان المكان ضيقا جدا فكان محتّما عليّ أن أبقى جالسا على ركبتيّ، وكان فيه ظلام دامس وسكون رهيب.» أما محمد عيبدة، الذي عُذِّب في مجموعة الدرك الوطني بمدينة بَغْلِّية، فيروي فصلاً من تعذيبه ويقول: «نُقِلْنا بواسطة شاحنة مثلّجة مقيّدين. كنا 40 شخصا وكان البرد قارسا؛ اعتقد أن الثلاجة كانت تشتغل.» وتجدُر الإشارة إلى أنّ المخابرات الإسرائيلية مشهورة باستخدام وسائل تقنية لتوليد البرد الشديد (مكيِّفات وثلاجات) لتعذيب الضحايا،[ذ] وإلى أنَّ تجريد المعذَّبين من الثياب وعرضهم لقسوة المناخ هو أسلوب أكثر انتشاراً عند الجلادين عبر العالم. فالبرد المتواصل لا يُحْتَمل ويخلُّ بطبع

[ذ] راجع: HRW, Torture and Ill-Treatment, Israel's Interrogation of Palestinians, HRW, New-York, 1994

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

المعتقَلين واتجاههم وسلوكهم، خاصة عندما يضاف إلى الجوع وقلة النوم والتّعب والعزلة والقلق.

8.2. التعذيب بالتشويه

هذا الأسلوب من التعذيب يستغل التكافؤ العكسي لقاعدة «العقل السليم في الجسم السليم»، أي يهدف إلى إتلاف السلامة المعنوية للإنسان بتدمير سلامته الجسدية. بالإضافة إلى إضعاف مقاومة الضحية، فإن هذا الصنف من التنكيل ينمّي في المعذَّب هاجس إمكانية فقدان نهائي لعضو من أعضائه. يقول نور الدين بوعمامة، الذي عُذِّب في المخفر المركزي للشرطة بالعاصمة: «ربطوا رأسي بسلك من حديد إلى كرسي وقطعوا لحمي بكلاب وهشموا أنفي. وقلعوا بمفك خمسة من أسناني. وكان وجهي منتفخا ومتورّما إلى حد أنّ جلاديّ كانوا لا يتحملون النظر إليّ، فأتى أحدهم بجرائد قديمة وغطى جسمي ووجهي لتفادي المنظر.» ويذكر محمد العربي، المعتقَل في سجن الحراش، أنه تعرَّض هو وزميله عياش عبد القادر إلى «قلع للأظافر وتقطيع للحم بواسطة الكلاليب». فينزعون بواسطة الكلاليب قطعا من اللحم من الفخذ ورأس الثدي كما تروي مجموعة من الأسرى بسجن الحراش. وبالنسبة لعثمان محمد بلدي، الذي عُذِّب في مخفر الشرطة المركزي بالعاصمة، فإنه يروي أنهم «خرّبوا أذني التي اِنْفَزَرَت، وأعموا بصري وضربوني حتى شعرت بالموت من كل جزء من بدني».

ويُستخدم الكُلاّب كذلك لنتف اللحية كما يشهد بذلك عبد القادر بن عودة الذي حبس في السجن العسكري بالبليدة: «نتفوا لحيتي بالكلاّب وهم يصرخون ويسبّون الله تعالى والرسول ρ.» وهناك طريقة أخرى يوظِّفها الجلادون في الجزائر وهي استخدام الجبس. تروي مجموعة من المساجين في الحراش أنهم «قلعوا لحانا بالكلاب والجبس الذي يضعونه على وجوهنا ثم يسحبونه بقوة عندما يجفّ». ويؤكد عبد العزيز ظهري وسعيد طيباوي وسالم بلقاسم واسماعيل منصوري أنه أُخِذ منهم الدم بالقوة في نفس السجن.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

9.2. التعذيب بالسلَّم، وبالكرسي، وبالتعليق

هذا النوع من التعذيب المروي في شهادات كثيرة يتميز عن باقي أنواع التعذيب (لقلب الضحية إلى حالة من الألم المزمن) لكون مصدر الألم المباشر ليس الجلاد ولكن الضحية نفسها.

والأنواع الثلاثة التي ترِد غالباً في الشهادات هي التعذيب بالسلَّم، وبالكرسي، وبالتعليق. يذكر نور الدين بوبكر، الذي عُذِّب في فيلا "لي زوازو" (العصافير) التابعة للمخابرات العسكرية في بوزريعة، إحدى هذه الطرق قائلا: «أمضيت تسعة أيام في هذا المكان المشؤوم، بما في ذلك عيد الأضحى، والطريقة المفضّلة لدى هؤلاء الجلادين ذوي الزيّ المدني هي طريقة السلَّم الذي كنت مربوطا به والذي يُترك ليهوي بعنف، فيتهشم بذلك وجهي وصدري على الأرض. هذه الأيام التسعة بما فيها من عذاب أليم بدت وكأنها تسعة أشهر.» أما تقنية الكرسي، فهي حسب قول مصطفى سليماني عبارة عما يلي: «بعد أن يربطوني بكرسي مكتوف اليدين والقدمين يتركونني أهوي على الأرض بوجهي.» فالألم الذي يحس به المعذَّب تحت وطأة وزنه عند الاصطدام بالأرض يكون آثاره أشد عندما ينثر الجلادون[ر] حبّات حمص يابس على الأرض.

أما طريقة التعليق، فهي حسب الشهادات عملية تعليق من القدمين – أحيانا بواسطة كماشات أو بواسطة آلة – وذلك لفترات تتراوح بين بضع ساعات وبضعة أيام. وهناك أسلوب آخر لهذه الطريقة ورد كثيرا في الشهادات وهو تعليق الضحية بواسطة كماشات إلى السقف لفترات قد تتراوح بين بضعة أيام وبضعة أسابيع، كما ذاقها مثلا ب. محمد الذي تم تعذيبه في مخفر الشرطة بحي الجبل. فنتج عن حالته تقيّح الكوعين وشلل اليدين.

والقصد من هذا النوع من التعذيب هو الترسيخ في ذهن المعذَّب – الذي يسبّب الألم لنفسه نظراً لأنّ وزنه هو المصدر المباشر للألم – مفهوم السلطان المطلق للجلادين.

[ر] خصوصا جلادو المخفر المركزي للشرطة بالعاصمة. أنظر شهادة ضابطي شرطة في المنشورة الإخبارية التالية: *Tribune des Droits de l'Homme en Algerie*, No 1, 19 Septembre 1992.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

10.2. الإضعاف والإنهاك والعزلة

إذا كانت أشكال التنكيل التي تم وصفها أعلاه تعتمد على فظاظة وقسوة العنف المسلَّط على الجسد، فإنّ التعذيب بالإضعاف والإنهاك والعزلة يعتمد على المناورة بالألم لنقل الضحايا من الحالة الحادة إلى الحالة المزمنة (حالة الانهيار).

وطريقة الهُزال الممحث التي تبرز باستمرار في الشهادات تعتمد على حرمان الضحية من الماء والغذاء والنوم، وذلك لبضعة أيام. والحرمان من النوم قد يستمر إلى أحد عشر يوماً كما قاسى من ذلك المرحوم عبد الرحيم حسين خلال تعذيبه. والطريقة الأكثر استخداماً هي الإيقاظ العنيف والمتكرر وغير المتوقع الذي يتخلل فترات قصيرة من النوم. يقول رضا سليماني المعتقل في سجن الحراش: «يتركوني حتى أنام ثم يأتون ويأخذونني. فيجردونني من الثياب ويضربونني، ويغمرونني بماء بارد ويشتمونني بألفاظ بذيئة لم أسمعها قط طيلة حياتي.»

ووظيفة هذه التقنيات المسبِّبة للبلادة هي إضعاف المقاومة الذهنية والجسمية للضحية. هذا التبليد يهدف إلى وضع الضحية تحت *تبعية* الجلاد وإبقائه على تلك الحالة. ففي ظروف كهذه حيث يكون الألم والحرمان هما القاعدة، يظهر الجلاد وكأنه هو وحده الذي يملك قدرة التخفيف من وطأة الحرمان من الغذاء والماء والنوم.

ففي عيِّنة من الشهادات المجمّعة، تظهر أساليب التبليد هذه دائماً مصحوبة بالحرمان من الدعم البشري (العزلة) ومن النظافة. والعزلة تطبَّق بصور مختلفة: حبس منفرد، شبه احتجاز وانزواء جماعي. وهناك مثالان نموذجيان عن العزلة: أ) يقول محمد عثمان بلدي أنهم «أدخلوني في مرحاض وأوصدوا عليّ الباب لخمسة أيام»؛ ب) سليمان رايت المحبوس لدى السجن العسكري بالبليدة يقول: «وضعوني مع اثني عشر شخصاً في زنزانة واحدة لا يوجد فيها سوى الجدران وقضبان من الحديد: لا أَسِّرة ولا غطاء ولا غذاء ولا ماء. كنا محرومين من جميع الحقوق الأساسية، حتى من المرحاض. كان الأخوة مرغمين على قضاء حاجتهم أمام بعضهم البعض في الزنزانة نفسها ». وذكر ب. محمد، الذي عُذِّب في مخفر الشرطة لحي الجبل، في شهادته «المنع من المراحيض لمدة خمسة وثلاثين يوما وإجبار المحبوسين على قضاء الحاجة في ثيابهم». وإضافة إلى إذلال المعذَّب، فإنَّ القصد من وراء هذه الأساليب هو حرمانه من أيّ دعم اجتماعي يُثّبت قدرته على المقاومة. كما تهدف هذه الممارسات إلى حث استحواذ ذاتي في الضحية لإخضاعها لانشغالات ذات طابع "حيواني".

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

وكل المعذَّبين يخبرون أنهم تعرضوا إلى حرمان حواسي (نقص أو انعدام الضوء، وضع عصابة على العينين أو كيس يغطي كافة الرأس) أو حرمان إدراكي (تقليص و/أو قطع الاتصال مع العالم، تيه زمكاني، رَتابات مُدبَّرة، الخ.). ويفيد علم نفس المختصّ بالتعذيب أن الحرمان الحسّيّ والإدراكي يجعل الدوائر العصبية في حالة احتياج ماسّ إلى تنبيه خارجي. فبعد سبع ساعات فقط، تنتج لدى الضحية حالة من الهوس السمعي والبصري وفقدان للاتجاه قد تتسبّب في تلف دائم في الجهاز العصبي.

11.2. الاغتصاب والاعتداء والتشويه الجنسي

هذا النوع من التنكيل يستدعي التوضيح بأنّ الاغتصاب لا يُقتَرف في معزل عن سياق التعذيب. فلا يمكن فصله عن السياق القهري للتعذيب، بل إنّ الاغتصاب في الواقع هو امتدادٌ له، أي أنه ليس عملاً جنسياً بل هو عمل تعذيبي حيث يمثِّل العضو التناسلي آلة التعذيب. ويؤكد طبيب الأمراض العقلية دُوَرْ-زَقرز (Doerr-Zegers) وزملاؤه أنَّ التعذيب الجنسي سلوك عدواني يُنتج «الإزاحة والاحتباس والضيق والتدمير.» فغَزْو جسم المعذَّب هو عدوان وليس أُنس: «الحُب يُعَظِّم بينما التعذيب يُضْعِف؛ الحُب يشرِّف ولكن التعذيب هو أكبر إهانة يمكن أن يتعرض لها الإنسان؛ الحُب هو الحياة والخلد إلى حد ما، بينما للتعذيب بعض صفات الموت الدائمة.»[ز]

إن التناور بالجنسانية[س] في التعذيب يظهر أوّلا من خلال الشهادات على أنه اغتصاب لفظي ومحاولات لاغتصاب بدني. تروي السيدة زهية كليوة، التي عُذِّبت في مخفر الشرطة بسالم باي، أنها جُرِّدت من الثياب وهُدِّدت بالاغتصاب من طرف جلاديها: « قال لي الشّرطيّ: "اعترفي أنّك أعطيت الملابس وإلاّ سنتركك عارية وسأفعل فيك." عندها تقدّم نحوي، كان يريد اغتصابي فصرخت: "لا تستطيع لمسي لأنّي مصابة بمرض!" فسألني: "وما نوع هذا المرض؟" قلت له: "أنا مريضة ولا يجب أن يلمسني أحد." سأل: "في أيّ ناحية أنت مريضة؟" أجبت: "أنا مصابة بسرطان في عنق الرّحم." قال: "من قال لك هذا؟" قلت له: "الطّبيب طبعا، أخذ منّي عيّنة لتحليلها. هذا المرض تسبّب في سقوط شعري وحاجبيّ." عندها أصبح عنيفا وأكثر شراسة من ذي قبل. فقلت له: "حافظ على شرفي، أنت شابّ ولي ابن أكبر منك سنّا. أعطني ملابسي وسأقول الحقيقة." ألقى بها وهو

ز O. Doerr-Zegers et al, 'Psychiatric Sequelae and Phenomenology', *Psychiatry*, Vol. 55 (1992) p. 182.

س مجموع الخصائص المتعلقة بالجنس والنشاط الجنسي.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

يطلب منّي الوقوف لارتدائها. فقلت إنّي لن أقف وسأرتدي ملابسي وأنا جالسة.» وذكر المرحوم حسن كعوان في محضره أن «أحد الجلادين كان يقول لي بدون خجل ولا حياء إننا سنمارس عليك اللواط». كما يقول نور الدين مصطفاي (من السجن العسكري بالبليدة): «خلال تواجدي في ذلك المكان حاولوا نزع ثيابي بطريقة همجية وحاول أحدهم، وهو المسؤول عن التحقيق، بكل ما أوتي من قوة أن يغتصبني، ولكن الله نجّاني منه هذه المرة. فعندما طرحوني أرضا قفز أحدهم على جسدي ووجهي بحذائه وهو يشتمني بألفاظ بذيئة ويسب الله والدين.» ويشير خير الدين قدّور، الذي عُذِّب في مقر أمن دائرة حسين داي، إلى أنّ شرطيين حاولا اغتصابه فقاومهما بقوة حتى أمنى أحدهما على وجهه، الأمر الذي جعله يقول: «اليوم أُفضِّل الموت على الحياة.»

فإذا كانت التهديدات بالاغتصاب هدفها البرهان للمُعَذَّب على قدرة الجلاد الكاملة عليه، وتفاهة أية محاولة للمقاومة، فإنّ الإقدام على الاغتصاب فعليا غرضه الإفناء النفسي الكامل للضحية الذي تبدو له كلفة المقاومة أكثر إهانة لكرامته من الاستسلام. وبما أن الأعضاء التناسلية، كالمخ ذاته، مهمّة للصحة البدنية والنفسية للفرد، فهي تتعرض لهذا النوع من العنف للقضاء على *الهوية والقدرة* الجنسية للضحية، ليتجذّر فيها هاجس عدم إمكانية ممارسة عادية للجنس، وهاجس التعرّض للإضعاف الجنسي المزمن (العُنَّة).

ويلاحظ آقر (Aggerش) أن توظيف الجنسانية جزء ذاتي (باطني) من الحرب النفسية — وهي إحدى الوسائل الفعالة للعبث بالنفس حيث تولد الشعور بالتواطؤ في الضحية: يُجبَر المعَذَّب على الاشتراك في الاعتداء على نفسه. ولا يوجد تأثير يتجاوز مفاعيل هذا النوع من التعذيب المعنوي سوى الانهيار المعنوي والنفسي لِمُعْتَقَل يُجْبَرُ على التعاون مع الجهاز القمعي بشكل أو بآخر.

فالمعذَّب عبد الرحيم حسين يروي في تصريحه الطويل قبل إعدامه كيف هُدِّدَ: «لن تكون الأوّل ولا الأخير ... وسنبدأ بقلع خصيتيك، فلن تستطيع بعدها أن تجامع زوجتك أبدا.» ويمكن إحصاء أنواع كثيرة من أدوات العنف المباشر هدفها القضاء على الإمكانيات الجنسية للضحية (ذهنيا أو فعليا). يذكر سليمان بن رجدال، الذي عُذِّب من طرف الدرك الوطني في الرغاية، أنهم «أتوا بصندوق صغير يحتوي على دُرج ووضعوا ذكري فيه وأغلقوه بقوة، فصرخت من شدة الألم ثم أغمي علي.» ويذكر عمر خيدر، الذي عُذِّب في ثكنة لم يتم تحديدها، أنهم «ربطوا ذكري بخيط قاس وبدأ ضابط في الجيش

ش راجع: I. Agger, *Trauma and Healing under State Terrorism,* Zed Books, London 1997، ص. 79.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

يسحبه بكل قوة، فأغمي علي». محمد آيت بلوق ، الذي عُذِّب في مدرسة الشرطة بشاطوناف بالعاصمة، يروي أنه تعرض «لضرب على نقاط حساسة في الجسم بواسطة آلة كهربائية، استُخدمت خاصة جهة الأعضاء التناسلية. ولقد انصبّ الجلاد عليّ حتى تورّمت أعضائي التناسلية وأدى ذلك إلى فقداني لقدراتي الجنسية نهائيا [العُنَّة]». وعُذِّب الدركي محمد الصغير القل من طرف زملائه في مفرزة درك ببئر خادم، فيقول أنّ النار أضرِمت في ذكره بعد أن سُكب عليه بنزين. وجثة عمروش محمد، الذي عُذِّب حتى الموت في مفتاح، أظهرت انْدحاقاً للبطن، وبتراً كاملاً للأعضاء التناسلية.

وتُستخدم أشكال عديدة للعنف الجنسي للقضاء الكامل على المعذَّب بواسطة تدمير *هويته* الجنسية. والتعذيب عن طريق الاغتصاب الجماعي كان ضحيته رضا سليماني الذي يروي أنهم «اعتدوا عليّ بأبشع الأعمال ألا وهو اللواط؛ وكانوا أربعة للقيام به». وإذا كان بعض ضحايا الاعتداء الجنسي باللواط مثل عبد الرشيد القشاي أو عبد الكريم قنون لا يسكتون عما عانوه، فإن أغلبية ضحايا الاغتصاب باللواط لا يتحدثون عن مآسيهم، مما يترك مسألة مدى انتشار مثل هذه الممارسات مفتوحة. واضطحاء[ص] هذا النوع من التعذيب لا ينتهي بمجرد انتهاء الاعتداء حيث تتميز الحالة النفسية للضحية بعد الاغتصاب بأعْراض نفسية–جسدية والصدمة والشعور بالإهانة والعار والخوف والإحساس بالإثم وخاصة بالامتناع عن الاعتراف بهذا الواقع كرفض عقلي وكتخدير عاطفي لمواجهة ألم لا يطاق.

وتدمير الهوية الجنسية لا يمارَس فقط عن طريق اللواط السلبي الذي تقاسي منه الضحية، لكنه يُقترَفُ أيضا بواسطة لواط فعَّال يُنفِذُه جبرياً مُعَذَّبٌ على آخر. فلقد أوتي بطفلين للإمام سعيد بوحريرة، الذي عُذِّب في بوزريعة من طرف الدرك الوطني، وأُمِر بممارسة اللواط عليهما. ولقد ضُرب وهُدِّد بعد رفضه. يقول علم النفس المختص بالتعذيب أنّ عدم اشتراك الجلاد مباشرة في عملية الإهانة يُثبت قدرة الجلاد الكلية ويهدف إلى ترسيخ الشك والقلق في ذهن المعذَّب – بتأثير أشدّ من عواقب اللواط السلبي – فيما يخص جنسانيتُه.

[ص] الاضطحاء يدل على تحويل شخص إلى ضحية. والاضطحاء اسم مشتق من الفعل اضطحى. اضطحى الشيء أي جعل منه ضحية وهو على وزن امتطى الدابة أي جعل منها مطية واهتدى الشيء أي جعل منه هدية وقد قلبت التاء طاء لتيسير النطق.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

ويُمَارسُ كذلك التعذيب باللواط بواسطة فاعل حيواني. فيذكر نورالدين حريك، الذي عذبته المخابرات العسكرية في مكان مجهول، أنّ الجلادين «وضعوا على ظهري كلبا بعد أن جرّدوني من الثياب وهددوني بممارسة اللواط عليّ إذا لم أعترف». وهذا النوع من التعذيب يقابل نوعا من الاعتداءات الجنسية التي أحصيت في بلدان عربية وبلدان أمريكا اللاتينية. وهو اغتصاب في فتحة الشرج بالنسبة للرجال وفي الفرج بالنسبة للنساء من طرف كلاب مدرّبة وكذلك فئران أو عنكبوت تُدخل في (أو توضع فوق) العضو التناسلي.

والنوع الثالث من أنواع اللواط الذي يرِد في أكثر الشهادات يُقترف بواسطة أدوات شتى. فيذكر رضا سليماني فصلاً من تعذيبه حيث أُجبر على الجلوس على زجاجة مكسرة: «لقد جاؤوا بزجاجتين مكسرتين واحدة صغيرة وأخرى كبيرة وطلبوا مني اختيار واحدة. فسألتهم "لماذا؟" فضربوني بقوة حتى اخترت الصغيرة وفعلوا بي ما فعلوه. يستحيل أن أقول أكثر من هذا. فأصبحت لا أستطيع الجلوس.» وتجدر الإشارة هنا إلى الحث على أداء عمل غير منطقي – وهو اختيار بين أمرين كلاهما مستحيل – لدفع الضحية في حلقة من التشنُّجات. وقائمة الأدوات المحصاة في هذا النوع من التعذيب تتضمن الزجاجات مكسورة العنق والقضبان الحديدية والمواسير وبعض الأسلحة النارية وأذرع المكانس والكاويات الكهربائية والسجائر.

لهذه الاغتصابات والتشويهات الجنسية طبيعة مشتركة واضحة (القسْر والعدوانية)، ولها أَدَوِيَة مشتركة بارزة أي أنها أدوات من أجل إخضاع الضحية وتحطيمها وإهانتها. لكن لا بد من إبراز معنى الجنسانية – كظاهرة نفسية وسياسية – الذي ينقلونه. فمن حيث نفسية الجلادين فإنّ الجنسانية في هذا النوع من التعذيب تُعبِّر عن ساديّة، وتعكير حاسة طبيعية، وكَلَب، بينما من ناحية السلوك الجنسي فإنّ هذا التعذيب يعكس عمل اقتناص. وكظاهرة سياسية تجدر الإشارة إلى أن التعذيب الجنسي يُذكِّر بالعادات الحربية للمجتمعات البدائية حيث كان يمارس الخِصاء أو اللواط على العدو المغلوب. وهو تعبير على أن الضحايا ملك للسلطة، وترسيخ للوضع القائم. فذكر الجلاد وقضيب الحديد والزجاجة مكسورة العنق والماسورة (للسلاح) هي في الواقع "قضيب" الطغمة العسكرية لحجز الضحايا بنيوياً في مكانهم في المجتمع. وهذه الممارسات التعذيبية تؤيّد وتفضح الكيان السياسي الذي يريد زبانية الطغمة العسكرية إنشاءه: دولة يكون فيها الرعايا سلبيين، بدون قدرات جنسية، صبيانيين ومطيعين.

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

12.2. التعذيب الذهني

هنا يكون العنف مسلَّطاً على هدف أوسع من الجسد. فهو مسدّد نحو جوهر الإنسان. وهذا النوع من التنكيل، المصمَّم ليستمر أثره طويلا بعد تنفيذه، "يقبض" على الوعي ويهدف إلى تحديد موقع الروح وعزلها وسحقها.

في المقام الأول يجب عرض العنف اللفظي الذي يبرز بطريقة رتيبة في كل الشهادات. فمن ناحية التعبير، يترجِم العنف اللفظي ظاهرة إقحام السياق القهري للتعذيب في الكلام. أما كوسيلة فهو سلاح يستخدمه الجلاد عن قصد في استراتيجيته لغزو الضحية.

يواجه الضحايا سيلا من الشتائم والبذاءات قبل الاستنطاق وطبعا خلاله. فهذا النوع من العدوان اللفظي هدفه إهانة الضحية. أما سبّ الدين والاستهزاء بالله Ψ – كفر تأباه كل نفس مؤمنة – فيُستخدَم لسحق كل دعم روحي للإيمان بالله I ولترسيخ فكرة أن الجلادين ذوو قدرة كلية في ذهن المعذَّب. «الآن سأمنعك من العيش، ناد ربك لينقذك من يدي» يُمثل أحد التهكمات الذي يذكره بكل حسرة مختار بودشيش في شهادته. ويشهد محمد عيبدة، الذي عذِّب في مجموعة الدرك الوطني في بَغْلِّية (دلّس)، عن التهديدات التَجْديفيّة التي تعرَّضَ لها فيقول: «رفع المساعد رأسه ونظر إليّ مطوّلا ثمّ قال: "ستعترف وصدّقني حتّى ربّك لا يستطيع إنقاذك!" ثمّ أمر دركيّين آخرَين لأخذي إلى غرفة التّعذيب وإرجاعي عندما أقرّر الاعتراف.»

والتهديد بالقتل، بالرغم من قلة انتشاره بالنسبة للعنف اللفظي، يظهر في كثير من الشهادات. فلقد روى المرحوم حسين عبد الرحيم في تصريحه هذه التهديدات: « انتهت المناقشات الفلسفية مع المسؤولين! حان الآن الأوان لتتكلم معنا... فإذا لم تعترف سنعذبك كما لم تعذب من قبل... وإذا اقتضى الأمر قتلك، سنقتلك. لن تكون الأول ولا الأخير.» ليست التهديدات بالموت دائما شفهيّة فقد تكون تظاهراً بالقتل. يروي محمد الصغير طويلب، الذي عُذِّب في ثكنة عسكرية في سيدي داود (دلّس): «أمشانا العساكر حوالي 500 متر مغمضي العينين وتحت وابل من السّبّ والشّتم. ثمّ توقّفوا ووضعونا على رُكَبنا. خفت كثيرا على نفسي وعلى اخوتي لأنّ العسكر شغَّلوا أسلحتهم وقالوا لنا أنّ نهايتنا قد حانت. فشهّدت وانتظرت الموت.» أما أحمد محفوظ ساري، الذي عُذِّب في مخفر الشرطة كافينياك (Cavaignac)، فيقول: «وضعوا مسدّسا على رأسي وبدؤوا يشغّلونه. قالوا لي: "إذا لم تبح بشيء، سنفجّر رأسك برصاصة."»

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

أما التنكيل حيث يوَّرط شخص ثالث، فيتضمن التهديدات بالعنف وممارسة العنف في الواقع. وأكثر التهديدات بالعنف المتواترة في الشهادات تكمن في التهديد باغتصاب الزوجة و/أو البنت و/أو الأخت و/أو الأم. ففي محاكمته التي أُعدم بعدها تراجع رشيد حشايشي عن التصريح الذي أدلى به بعد أحد عشر يوما من التعذيب وذكر أنّ جلاديه ضغطوا عليه بإبراز مفاتيح الشقة التي تسكن فيها زوجته الحامل وأمه. يقول محمد سادات، الذي عُذب في مدرسة الشرطة بشاطوناف: «هدّدوني عدة مرات بأنهم سيُحضرون زوجتي وسيغتصبها كل الجنود.» أما سعيد فكار، الذي عُذِّب في مجموعة الدرك ببرج منايل، فيذكر أنّ جلاديه هدّدوه بالموت ثم « قالوا لي أنهم سيأتون بزوجتي وبناتي ويغتصبونهن أمامي. فتجمّد الدم في عروقي أمام هذه الصور الدنيئة».

كما أنّ التهديد بقتل شخص ثالث استُخدِم أحيانا، كما يظهر في شهادة لويزة بركان، التي عُذِّبت في مخفر الشرطة بسالم باي: «كان المسؤول يظهر وكأنه يتلذّذ من المشْهّد الذي يعرضه مأموروه. [...] أخرج خنجرا كبيرا ذا قبضة حديديّة صفراء، وأخذ يديره بِبُطء حتّى أتمكّن من رؤيته، ثمّ أمر شرطيّا بإحضار أبنائي. ائتمر هذا الأخير وذهب لإحضار عبد الجليل الذي كان مذعورا. جذبه المسؤول من قميصه ووضع خنجره على عنقه. كنت أنظر إلى ولدي وأنا عاجزة. كانت عيناه تكادان أن تخرجان من حجاجهما من شدّة الخوف. "سأذبح ربّه أمامك وأمام إبنيك الآخرين إذا لم تعترفي الآن!" فأجبته: "أعترف بماذا؟"، وأنا أحاول الحفاظ على هدوئي.»

أما بخصوص أعمال العنف الممارسَة على شخص ثالث فوردت في عدة مَحاضِر مثل شهادة سيد علي بلهواري الذي عُذِّب في مخفر الشرطة بباب الوادي: «ثم أمضيت يومين أشد عليّ من الخرقة والكهرباء. رأيت رجلا بتشوّهات فائقة الوصف ثم سمعنا صراخ امرأة. سألنا ما هذا؟ فأجابنا الرجل: "جاؤوا بأميّ، وأختي وزوجة أخي، لأنهم يبحثون عن أخي." فبدأنا كلنا نبكي. وأصبح صراخ المرأة أقوى وسمعناها تقول: "أنا في سنّ أمك" وسمعنا الجلاد يجيب: "أنت أميّ؟ لو كنتِ أميّ لقتلتك" [...].» ويشهد عمار لحياني، الذي عُذِّب في مقر الدرك بسيدي داود، أنه «في اليوم الرّابع أخرجوني وعذّبوني بنفس الطّريقة. وبينما كنت مربوطا إلى الطّاولة شبه مغمى عليّ من جراء الكهرباء، سمعت صيحات وصرخات امرأة فعرفت أنّه صوت وصراخ زوجتي. ثمّ ظننت أنّي مخطئ وأنّه كابوس وأنّ كلّ هذا ناجم عن التّعذيب. ولكن انفتح الباب وإذا بزوجتي المسكينة أمامي. جرَّها المساعد والدركيين إلى داخل الزنزانة تحت وابل من الشّتم والسّبّ. ولما رأتني أدمي ومربوطا إلى الطّاولة صرخت ثمّ أغمي عليها. ولما رأيتها في تلك الحالة فقدت صوابي ولم

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

أعد أقوى على التّحمّل أكثر. سحبوها إلى الخارج ولم أسمع صراخها بعد ذلك. قال لي أحدهم ساخرا: "لا تخف إنّهم يعتنون بها كما ينبغي." كنت جدّ قلقٍ وأصابني إثر ذلك أسى رهيب.»

وذكرَت المؤسسة الطبّية لرعاية ضحايا التعذيب المتواجدة بلندن في تقريرها لسنة 1999 حالة السيد ي.، وهو عضو سابق في الجبهة الإسلامية للإنقاذ عذِّب في سبتمبر 1993 في مخفر للشرطة لم يكشف عن عنوانه، وطلب اللجوء السياسي في بريطانيا. يقول طبيبه في هذه المؤسسة: «ذات مرّة تذكَّر السيد ي. أنه أوثِق إلى كرسي وجاءت الشرطة بأخته في سنّ الثالثة عشرة لأنه رفض الكلام. قيل له إنّ أخته ستتعرّض للأذى لأنه لم يستجب لأسئلتهم عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ. فشرعوا في الاعتداء الجنسي على أخته واغتصابها أمامه... تضرّع السيد ي. إلى الشرطة ليخلّوا سبيل أخته وقال إنه سيجيب على أسئلتهم. بعدها أخذوا أخته غير أنه ظل يسمع عويلها في غرفة مجاورة، والسيد ي. يعتقد أنهم [أي الشرطة] كانوا يغتصبونها. وبعد هذه الحادثة مع أخته اعترف بكل ما كانوا يطلبون منه.»

إن استخدام الأطفال والنساء وأفراد العائلة كشخص ثالث في عملية التعذيب يخضع لمنطق استغلال العلاقات العاطفية (العناية والوفاء) داخل العائلة لوضع المعذَّب في فخ الاختيارات المستحيلة. ويستعمل النظام العسكري هذا النوع من التعذيب رغم آثاره الهدامة على العائلة (غالبا ما يؤدّي إلى العزلة والفصل بين أعضاء العائلة) لأنه يعتبر أنّ عائلة العضو في الجبهة الإسلامية للإنقاذ أو المناصر لها تشكّل وحدة اجتماعية خطيرة كونها تداوم المقاومة وتحفظ الذاكرة؛ وقد لقّبت الصحافة الخاضعة للمؤسسة العسكرية هذه العائلات بـ«العائلات الإرهابية». وتَجْدُر الإشارة إلى أنّ اغتصاب النساء يُمارَس أيضا كعرض للسلطة حتى يُهان الضحايا وكغنيمة حرب أو ربح لأعضاء قوات الأمن.

كما تجدر الإشارة أيضاً إلى أنّ إجبار ضحية لسماع صيحات ضحية أخرى يُعتبر من صميم التعذيب الذهني حيث تُجبر الضحية على حضور تعذيب ضحايا آخرين بدون حول ولا قوة. وقد بيَّنت الباحثة أُلَيْن سْكَاري (Elaine Scarry) أنّ في كثير من الدول تُسجَّل صيحات الضحايا بمُسْجِّلة كاسيت ثم تُشغَّل هذه الأخيرة في مكان مناسب حتى يسمع المعذَّبون أو زملاؤهم أو أقاربهم الصرخات. فالسيد علي لعشب، الذي عُذِّب في مركز المخابرات العسكرية ببن عكنون، يذكر هذه التقنية للتعذيب فيقول: «بعد ليلة من التعذيب أرجَعوني وهدّدوني بإحضار زوجتي وابني في حالة ما إذا لم أزوّدهم بالمعلومات الّتي يريدونها. بعد ساعة وأنا مازلت مربوطا فوق الطّاولة سمعت صوت ابني وزوجتي

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

فخفت أشدّ الخوف عليهما، ولما سمعت صراخ زوجتي أصبحت كالمجنون. عندها بدأت أقول أيّ شيء عن أناس تَهُمّ المخابرات، أناس أعرفهم سطحياً. وبما أنهم لم يصدّقوا ما كنت أختلقه رجعوا للتعذيب. أكثر ما كان يؤلمني هو سماع صراخ زوجتي وابني. [...] في اليومين الأخيرين كنت أسمع صراخ زوجتي باستمرار. العجيب أنّ الأصوات كانت دائما هِيَ هِيَ، مرّة تكون مرتفعة ومرة أخرى منخفضة. في يوم مثولي أمام القاضي، جاء رجال المخابرات وقالوا لي: "إنّ قضيّتك أحدثت ضجّة وعليك أن تعترف وتقول أنّك مهرّب مخدِّرات، وأنّك تعرف هذا وذاك وإلاّ ستودّع زوجتك." إلى آخر دقيقة كنت كالمجنون، كنت لا أفكّر إلاّ في أمن زوجتي حيث كنت مستعدّا لفعل كلّ شيء لإطلاق سراحها. فأقنعوني أنّهم سيُطلقون سراحها في نفس اليوم في حالة ما إذا قلت ما يريدون. لذلك قلت ما يريدون أمام قاضي التحقيق. وفي طريقي إلى السّجن طلبت منهم أن يخبروني عن زوجتي هل أطلقوا سراحها أم لا. عندها بدؤوا يضحكون ولكني لم أفهم لماذا يضحكون. فقالوا لي: "ألا تعرف الصَّوْت؟" لم أفهم ماذا كانوا يقصدون إلا عند الزّيارة الأولى لزوجتي.»

هذا الألم الصوتي يصفه أيضاً الدكتور نور الدين لمحداني الذي عُذِّب في مدرسة الشرطة بشاطوناف: «كنت أسمع من زنزانتي صراخ ونواح أشخاص يعذَّبون ليلا ونهارا وأصواتاً مؤثِّرة لآلات التعذيب. وأسمع إلى الآن أصوات الخراقة والمنشار الكهربائيين يُدَوّيان في أُذنَيَ. وصوت سقوط الأجساد المقيّدة التي تُرمى على الجدران.»

ويذكر جلول شعشوع، الذي عُذِّب في مدرسة الشرطة بشاطوناف، تعذيبه المعنوي والبصري بهذه العبارات: «"دعوني" لأغنّي لهم إحدى أغاني الراي لأنهم عرفوا أنّ أصلي من الغرب الجزائري. نفّذت مرتجلا. زيادة على هذا التعذيب المعنوي أجبرني الجلادون على حضور حصص تعذيب بعض المواطنين، شبانا وشيوخا. لن أنسى أبدا حصص التعذيب الذي سُلِّط على طفل عمره خمسة عشر سنة كاد يفقد عقله، وكذلك شيخ يزيد عمره عن ثمانين عاما.»

وصل تناور زبانية الطغمة العسكرية بألم الرجال حدّا يستحيل وصفه. ففي شهادة جيلالي عاوس، الذي عذب من طرف شرطة باب الوادي، ورد أنه «في المساء تأتي الشرطة بمجانين من ميناء الجزائر (قذرين ومليئ بالقمل واللعاب يسيل من أفواههم) فيدفعون بهم داخل الزنزانات على المعتقلين الجالسين عل الكراسي مكتوفي الأيدي. والشرطة يستمتعون بهذه المناظر وهم يدخّنون السجائر ويصرخون لتحميس المجانين المساكين الذين يؤذون المساجين معنويا وجسديا دون قصد منهم. فيبصقون على وجوههم ويقبلونهم ويغطونهم

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار

باللعاب. وفي النهاية تعطيهم الشرطة عصيا يضربون بها المساجين المقيّدين. والشرطة يضحكون، ويطلقون صيحات هيستيرية. كنا نحسب أنفسنا في كابوس حقيقي».

© 2003-2011 Hoggar | www.hoggar.org معهد الهوڤار